



الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلامة على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين .. وبعد:

فقد تأسست الأمم المتحدة في عام 1945 م لكي ترعى الأمان والسلم العالميين، لكنها منذ ذلك التأسيس بنيت بناءً ديكاتوريًا يهيمن عليها ويتحكم في قراراتها الأقوىاء، الذين شكلوا الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن، وملكوا حق التدخل (الفيتو)؛ فأصبحت الأمم المتحدة منبراً لتقاسم الهيمنة والنفوذ العالمي، وأداة لفرض الوصاية والتسلط على حق الشعب والدول.

لكن هنا نوع آخر من أنواع الهيمنة والوصاية – غير الهيمنة والسياسية والاقتصادية – يمارسها الغرب على شعوب العالم مستخدماً أدوات الأمم المتحدة نفسها، وهي الهيمنة الثقافية والاجتماعية!

هيمنة الغرب الثقافية والاجتماعية على العالم بدأت من خلال المواثيق والمعاهدات الدولية مثل الميثاق العالمي لحقوق الإنسان، والميثاق الدولي المتعلق بالحقوق المدنية والسياسية، والثقافية، والاجتماعية، ووثيقة بكين، ووثيقة السكان، واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو) .. ونحوها من المواثيق.

الهدف الرئيس لهذه المواثيق والمعاهدات: تغيير أنماط القيم والأنظمة والتشريعات المحلية في جميع دول العالم، والتعامل مع الخصوصيات الدينية والاجتماعية باستخفاف شديد، وبناء قيم وأنظمة وتشريعات بديلة، تفرض على الشعوب والدول فرضاً، حيث قدّمت تلك القيم والتشريعات باعتبارها قيماً وتشريعات مطلقة قطعية لا يجوز المساس بها أو الاعتراض عليها، وهي في الوقت نفسه تشريعات غير قابلة للتجزئة، ودور الدول هو الالتزام الكامل بها، والتكيف التدريجي معها، تحت رقابة ومتابعة ومحاسبة من لجان خاصة في الأمم المتحدة!

إنَّ تلك المواثيق والمعاهدات الدولية تعبر عن الصراع الفكري والتناقض الثقافي والاجتماعي الذي نشأ وتطور في الغرب؛ فمع بوادر عصر الثورة الصناعية في فرنسا تمرد الغرب على الدين وسلطة الكنيسة، وأسقط فكرة الألوهية والقداسة، ومزق كل القيود والأعراف الاجتماعية، التي تقييد حرية الإنسان، وتحولت القيم والأعراف إلى أفكار نسبية هلامية قابلة

ومع تصاعد غرور القوة والاستعلاء التجريبي والصناعي، تسارعت حركة التمرد الفكري والقيمي في الغرب، وأصبح المقدس الوحد - رغم تعدد المدارس الفكرية والفلسفية - هو ألوهية الإنسان، الذي تحكمه العقلية المادية الصرفة! [1] ، وتبنت الحركات النسوية خصوصاً مبدأ المساواة التامة، والحرية المطلقة، لتعيد صياغة مفهوم الهوية البيولوجية للإنسان (الجند)، والتخلّي عن مصطلحي الرجل والمرأة باعتبارهما مصطلحات تمييزية تتناقض مع مبدأ المساواة، ومن ثم تغيير قيم ووظائف الفرد والأسرة والمجتمع. وأطلق العنوان لكل أنواع التمرد والتفلت الاجتماعي. ولهذا رأينا الرئيس الأمريكي باراك أوباما مثلاً يحتفي بقرار المحكمة العليا في الولايات المتحدة الأمريكية التي أباحت حق الزواج للشواذ في جميع الولايات الأمريكية، معتبراً هذا القرار (انتصار لأمريكا .. انتصار للحب)! وسارع الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون إلى تأييد القرار! وما أشبه هذا الاستعلاء بقول الله - تعالى - {ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون} [النمل: 54]. [2]

هذه الاحتفالية بالشذوذ والدفاع عنها، تؤكد أن الشذوذ في الوجдан الغربي ليس مجرد ظاهرة عابرة، أو هوس جنسي عارض؛ بل هو في الحقيقة تعبير عن مقدار الشذوذ الفكري المتراكم عبر السنين، واستجابة تلقائية للنزعتين البراجماتية والدارونية اللتين أسهمتا في صياغة العقل الجماعي للمجتمع الغربي، ولهذا نستطيع أن نقول للرئيس الأمريكي إن انتصاركم هذا هو في الحقيقة: (انتصار للشذوذ .. انتصار للبهيمية!)، وهو - بإذن الله - إيدان بأفول الغرب! في ظل هذا السياق الفكري تشكلت القيم الغربية، ثم فرضت على العالم أجمع بكل حمولتها وأبعادها الفلسفية والاجتماعية، بواسطة اتفاقات ومواثيق المنظمات الدولية كالأمم المتحدة، باعتبارها تطوراً طبيعياً للسمو الحضاري للإنسان، وباعتبارها قيماً إنسانية مشتركة.

لم تدرس لجان الأمم المتحدة الأساق الاجتماعية في الحضارات والدول المختلفة حول العالم، ثم قدمت أنموذجها الأمثل بناء على هذه الدراسة، وإنما انحازت ابتداءً إلى النموذج الغربي دون أدنى موضوعية، وجعلته هو الفكر المرجعي الوحد الذي يجب أن يكون مرتكز الانطلاق لصياغة القيم والتشريعات الإنسانية؛ فالفكر الغربي لم يُعد غربياً في أجندة الأمم المتحدة، بل يجب أن يكون فكراً عالمياً يهيمن على جميع الحضارات الأخرى، ويفرض سلطوته على جميع الشعوب، ويتجاوز سيادة الدول، وهو بهذا أداة للقضاء على كل الهويات وهدم لكل الحضارات،وها هنا تكمن خطورة مواثيق ومعاهدات الأمم المتحدة!

أحدث هذه الوثائق وثيقة للأمم المتحدة بعنوان: (تحويل عالمنا: أجندة 2030 للتنمية المستدامة) التي نوقشت في نيويورك في 2/8/2015 م وسيجتمع رؤساء الدول في الفترة من 25-27 سبتمبر 2015 م لإقرارها.

وهذه الوثيقة أنموذج صارخ في فرض قيم وثقافة الغرب على العالم، فلم تناقش باعتبارها رؤية استرشادية قابلة للحوار والنقاش الحضاري من دول العالم؛ بل قدمت بهدف إعادة بناء وتشكيل الواقع العالمي، ونصّت الدبياجة على أنهم: (مصممون على اتخاذ الخطوات الجريئة المفهومية إلى التحول التي تلزم بصورة ملحة للانتقال بالعالم نحو مسار قوامة الاستدامة والقدرة على الصمود)، ثم تتعهد الدبياجة بترسيخ تبعية جميع الدول لهم: (مقبولون على هذه المرحلة الجماعية، بـألا يخلف الركب أحداً وراءه!).

ثم تتجلى النزعة الاستعلائية في المقدمة الخامسة التي نصت على أن الوثيقة: (تحظى بقبول جميع البلدان وتسري على الجميع)، ومع أنها تزعم أنها راعت اختلاف الواقع المعاش في كل بلد، إلا أنها تلح بكل وضوح على أنها: (متکاملة غير قابلة للتجزئ).

عالجت الوثيقة الأبعاد الثلاثة للتنمية المستدامة: البعد الاقتصادي والبعد الاجتماعي والبعد البيئي. وقدّمت روئي وإجراءات

مفيدة في معالجة مشكلات الفقر والجوع والصحة والتعليم والبيئة، لكنها في الوقت نفسه رسمت الرؤية الغربية التي وردت في الاتفاques والمعاهدات السابقة بخصوص الحقوق والحرفيات الجنسية، وما يسمى بالصحة الجنسية والإيجابية، وحقوق الشوّاز، وتغيير مفاهيم الهوية البيولوجية (الجند)، ومفهوم الأسرة وأنماطها المتعددة .. وكأنه لا سبيل لتحقيق التنمية ومعالجة مشكلات الفقر والجوع إلا بتحويل العالم إلى المستنقع الاجتماعي الذي تلوّث به الغرب!

إنَّ الأمم المتحدة بانحيازها الأعمى لمرجعية الفكر الغربي تجرِّ العالم كله نحو الهاوية، وعلى عقلاه العالم أن يستنقذوا البشرية من الانهيار القيمي والانحراف الأخلاقي الذي تردد نحوه. وعقدة التفوق الصناعي والاستعلاء العسكري التي شكلت العقل الغربي ليست بالضرورة دليلاً على تفوقه الإنساني والقيمي، وإذا كان الغرب يملك قيماً إيجابية ينبغي الاعتراف بها من دول وشعوب العالم، فإنه في الوقت نفسه يملك قيماً فاسدة ومميتة تأكله من داخله، وعليه أن يعالج أمراضه التي تفتك به، ويقلع عن تصديرها لبقية دول العالم!

{أَفَمَنْ يَمْشِيْ مَكْبَأً عَلَىْ وَجْهِهِ أَهْدَىْ أَمَّنْ يَمْشِيْ سُوِّيْاً عَلَىْ صِرَاطِ مَسْتَقِيمٍ}

[1] يقول عبد الله العروي: (إن نظرية الحرية التي تكونت في أعقاب الثورة الصناعية، والتي تهدف إلى الكشف عن أصل الحرية المطلقة، تستلزم بكيفية أو بأخرى: تاليه الإنسان الحر!).

[2] قال ابن كثير: (وانت تبصرون: يرى بعضكم بعضاً، وتأتون في ناديك المنكر)، وقال القرطبي: (وقيل: يأتي بعضكم بعضاً وأنت تنظر إلى، وكانوا لا يستترون عتواً منهم وتمرداً).

مجلة البيان

المصادر: